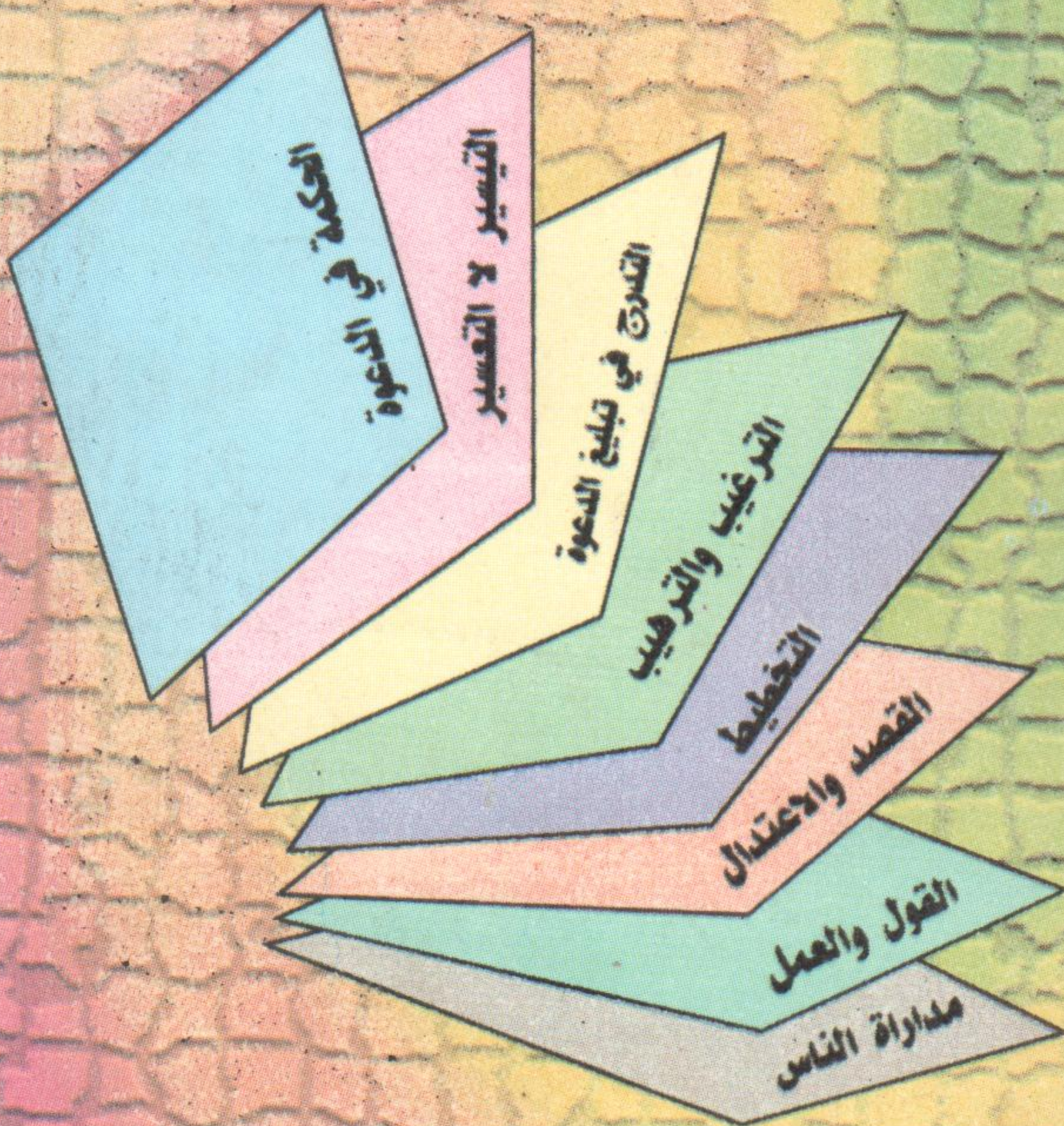


# منهج الدعوة



البراهين النعمة

## مقدمة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، ومن اتبع هداه الى يوم الدين!  
أما بعد:

فقد كثرت الكتابات في أساليب الدعوة الى الله ومناهج الدعاة في القرن العشرين، ووضعت تلك الكتابات الأسس الصحيحة التي ينبغي أن يسير على وفقها الدعاة الى الله، بعد أن بقيت الدعوة فترة ليست بالقصيرة من الزمن، معتمدة على نشاط الغيورين المتحمسين من الدعاة كل حسب اجتهاده، من غير أن يتخذوا لهم منهجاً مدروساً، مكتفين بما يقدمونه من نشر لدعوة الله في الناس. بيد أن الأعمال الفردية الاجتهادية لم تتضح أساليب الدعوة، ولم تضع أسساً ثابتة في مناهج الدعاة. ومع ذلك، فقد أثمرت تلك الجهود ثمرات طيبة، لكنها لم تصل الى حد النضوج؛ وذلك لعدم تدوين (فقه الدعوة) الذي ينبغي أن يسير عليه كل داعية؛ لذلك صار من الضروري لكل من يدعو إلى الله أن يسعى جهده في معرفة (فقه الدعوة) ودراية فنها؛ إذ أصبحت علماً من العلوم وفناً من الفنون ينبغي أن يوليه المسلم كل اهتمام، وكيف لا يهتم المسلم بها وهو يرى الصوارف عن هذا الدين، تتولاها أجهزة وأنظمة كثيرة في العالم وضعت تحت تصرفها

ميزانيات طائفة، ومناهج دقيقة مبنية على الكذب والغش والخداع...!

ولكن مما يبعث على الأمل والسرور، أن نجد (الصحوة الإسلامية) قد أخذت مكانها اليوم في العالمين: العربي والإسلامي، بل في العالم كله، بعد ذلك النوم العميق الذي غفل فيه الدعاة عن هذا الجانب فترة طويلة من الزمن؛ ففقدوا المنهج الأصح في الدعوة... وهناك صار الخلط بين الأهداف والمناهج؛ فأصبح من الضروري أن يؤصل الدعاة قواعد الدعوة؛ ليصلوا إلى ما هو الأفضل والأمنع.

وهذا البحث المتواضع إنما هو مقتطفات من خطوط عامة أو رؤوس أقلام صغيرة، كتبتها ليضعها الدعاة نصب أعينهم - وهم يقومون بأفضل عمل في هذا الوجود - ولا ازعم أنه جاء خالياً من الهفوات والسقطات؛ فان الكمال لله وحده، سائلاً منه تعالى - وحده - أن ينور بصيرتنا، ويفتح قلوبنا؛ لنقدم لديننا خدمة تكون لنا نوراً على الصراط! والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات!

إبراهيم النعمة

## منهج الدعوة

بين يدي البحث:

هناك منهج عام ينبغي لكل داعية أن يسير على وفقه: كاتخاذ الحكمة في كل قول من أقواله وعمل من أعماله، والتيسير في الدعوة لا التعسير، والتدرج في تبليغ الدعوة، والتعميم في التوجيه والنقد غير المباشر، والقصد والاعتدال في حياته، ومداراة الناس، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، وان يكون له ميزان دقيق يرجح به بين المصالح والمفاسد في الأمور الاجتهادية، ويقدم أو يحجم وفق ذلك الميزان، وأن يكون مبتعداً عن الخلافات الفقهية والجدل المذموم ...

وهناك منهج آخر ينبغي لكل داعية أن يلاحظه في دعوته، ويتمثل: في اختياره الموضوعات التي يتحدث فيها، فيقدم الأهم على المهم. وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ؛ فإنه لما بعثه الله بهذا الدين كان أول ما دعا إليه (التوحيد الخالص) وتثبيته في قلوب الناس، وذلك بذكر صفات الله، والتأكيد على أنه - سبحانه - الواحد الأحد، الفرد الصمد، ليس كمثل شيء، وهو القادر على النفع والضرر، وغيره لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن أن ينفع غيره أو يضره ... وربما كان التأكيد على جانب العقيدة الصحيحة في أول بعثة النبي محمد ﷺ؛ لأنها هي التي تنبثق عنها العبادة الصحيحة، وتحمل صاحبها على التضحية بكل

ما يملك من أجلها. وما أصاب المسلمين ما أصابهم من ضعف وهزال وتذبذب في هذا العصر إلا لضعف العقيدة في نفوس كثير من الناس. وحين ننظر في عقيدتنا هذه، نرى أنها واضحة لا خفاء فيها، وسهلة لا تعقيد فيها، واستطاعت هذه (العقيدة) بيسرها ووضوحها وقوتها أن تؤثر بالناس، وصارت - فيما بعد - أساساً في نفس كل فرد مسلم، وفي كيان الأمة، ولن يقوم بناء بغيرها.

لقد أكد القرآن الكريم في عهده المكي تأكيداً كثيراً على العقيدة بأركانها وكأن (مكة) عند إشراق شمس الدعوة الإسلامية كانت مركزاً لتدريب الصحابة الذين أعدهم القرآن الحكيم والرسول الكريم هذا الإعداد من الجانبين الروحي والبدني؛ ليتحملوا - فيما بعد - مشاق الجهاد المضني. فلم ينشغل رسول الله ﷺ بالتهديم في العهد المكي، بل اهتم ببناء الإيمان الحق، ولم يشغل صحابته بالسياسة وأمور الحكم - آنذاك - بل كان التركيز على تثبيت الإيمان في النفوس.

وهكذا كان العهد المكي قاعدة مهمة أرسى أسسها رسول الله ﷺ، وكانت تلك الأسس قوية ومنتينة صلبة، استطاعت أن تتحمل البناء الضخم الذي أقيم عليها بعد ذلك. أما السور والآيات المدنية، فجاءت بعد أن رسخ الإيمان في نفوس الناس، تتحدث في

تشريعات مختلفة من سياسية وحربية واجتماعية واقتصادية ...

إن منهج الآيات المكية والمدنية وسيرة الرسول ﷺ في هذين العهدين، ينبغي أن يتخذها الداعية المسلم منهاجاً لدعوته، وهو إنسان حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب. وهذه مقتطفات من منهج الدعوة:

## ١- الحكمة:

الحكمة في اللغة والاصطلاح:

ورد لفظ الحكمة في اللغة في عددٍ من المعاني منها: إحكام الأمر: أي إتقانه، ومنعه من الفساد، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وإصابة الحق بالعلم والعقل<sup>(١)</sup>.

أما في الاصطلاح، فقد عرفت بتعاريف كثيرة، والذي نختاره: هو الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه المناسب.

والحكمة شرط أساسي في منهج الدعوة، من فقدتها فقد أخفق في دعوته. ومن أركانها: العلم الشرعي: فلا يكون الداعية حكيماً إلا به. والحكمة هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده، بعد أن يسدده في

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، والمفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني.

أقواله وأعماله، وهي -مع ذلك- تكتسب بتوفيق الله بعدة طرق منها: العلم النافع، والصبر، والاستقامة، وجهاد النفس، والاستشارة... ومن تتبع دعوة الرسول ﷺ وجد الحكمة ملازمة له في كل قولٍ من أقواله أو عملٍ من أعماله -وبخاصة في دعوته الى الله-: فلا نعجب إذا علمنا أنه حقق من النجاح ما لم يحققه غيره، فأقام صروح دولة صارت وأصبحت وأضحت مضرب الأمثال في كل جانبٍ من جوانب الكمال، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ولم يكن النبي ﷺ لينجح هذا النجاح في دعوته لو لم يكن رسولا من رب العالمين، أرسله بعقيدة وشريعة، وجملة بمكارم الأخلاق ليهدي البشرية الحائرة، وينقذها من ضلال الكفر والشرك الى الإيمان الحق الذي به لا بغيره يسعد الإنسان السعادة الحقيقية. ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه لينجح هذا النجاح في دعوته، لو لم يسدد الله خطواته كلها، ويملاً صدره حكمة وإيماناً. يقول الرسول ﷺ متحدثاً عن نفسه: ((فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري، ثم طبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي الى

السماء...))<sup>(١)</sup>.

وتتجلى في هذا الحديث أهمية الحكمة وعظيم شأنها في منهج الدعوة: فان الله عز وجل - أرسل جبريل عليه السلام فملاً صدر رسول الله ﷺ حكمة وإيماناً وفي ذلك الخير - كل الخير - كما قال تعالى:

**{وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}**

سورة البقرة / ٢٦٩.

ولقد أخطأ كثيرٌ من الناس حين ظنوا أن الحكمة تقتصر على العفو والحلم والكلام اللين والرفق...! إن هذا قصور في النظر؛ ذلك أن هذا الأسلوب من أساليب الدعوة يستعمل مع الناس الأذكياء من البشر: أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولا يجادلون في باطلٍ ولا يعاندون ...

وهناك من الناس من يقبل الحق ويعترف به، ولكن فيهم شهوات أو غفلة تصدهم عن اتباعه، فان الداعية يستخدم معهم الموعظة الحسنة التي تشتمل على الترهيب والترهيب.

---

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب الصلاة (باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء) ١ / ٤٥٨، ومسلم-واللفظ له-في كتاب الإيمان (باب:الإسراء برسول الله ﷺ الى السموات وفرض الصلوات) ١ / ١٤٨.



وقد يكون المدعو معانداً أو جاحداً، فيستخدم الداعية جداله بالتالي هي أحسن، فيدعوه الى الحق، ويأتيه بالأدلة العقلية والنقلية التي تقيم عليه الحجة، وتزيل الشبهات التي علق بذهنه، وذلك بأسلوب هادئ، على أن لا تكون غاية الداعية مجرد الغلبة، بل بيان الحق؛ لأن المسلم يريد الخير للناس كلهم. أما المعاند الجاحد الظالم الذي ركب رأسه، فإن الحكمة قد تكون بالكلام القوي والضرب والتأديب إذا اقتضت الضرورة.

إن الحكمة في الداعية تجعله يضع كل شيء في موضعه المناسب: فلا يدعو الناس الى التبتل والانقطاع عن الحياة وقد أحاط الأعداء بالبلد المسلم إحاطة السوار بالمعصم، بل يدعوهم الى الدفاع عن بلادهم أولاً، ويكون في مقدمة الصفوف المقاتلة. وليس صواباً أن يبدأ بتعليمهم أحكام الرقيق والمواريث، وهم بحاجة ماسة الى تعلم أحكام الوضوء والصلاة.

ومن مقتضى الحكمة: مراعاة الداعي لطبائع المدعويين، والوسائل التي تؤثر بهم: فلا يثقل عليهم بالتكاليف قبل أن تستعد نفوسهم لقبولها، ويبدأ بالأهم قبل المهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم وبهذا ينفذ الى قلوب الناس وينجح في دعوته.

## ٢ - التيسير لا التعسير:

التيسير سمة واضحة من سمات شريعتنا الغراء، وفيها ما فيها من المرونة. ويستطيع الداعية أن ينتفع من تلك المرونة. وهذا لا يعني أن يداهن المسلم على حساب دينه بحجة التيسير والمرونة، بل ينتفع من مرونة الشريعة ويسرها في حدود ما أباحته. وتقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى تعقيباً على إيجاب الصوم مع رعاية المشقة في السفر والمرض:

{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}  
سورة البقرة / ١٨٥.

ويقول - سبحانه -:

{يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ  
ضَعِيفًا} سورة النساء / ٢٨.

ويقول عند إندام الماء، أو العجز عنه لمرض:  
{مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} سورة  
المائدة / ٦.

ويقول:

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا  
إِلَّا وُسْعَهَا} سورة الأنعام / ١٥٢.

ويقول:

{هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ  
حَرَجٍ} سورة الحج / ٧٨.

وذكر العليم الخبير أن العسر مطارد ببسرين،  
فقال تعالى:

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} وَوَضَعْنَا عَنكَ  
وِزْرَكَ} الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} وَرَفَعْنَا لَكَ  
ذِكْرَكَ} فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}  
سورة الشرح/ ١-٦.

أما السنة النبوية، فجاءت زاخرة بهذا الأصل  
المهم من أصول الإسلام، داعية الى الاعتماد عليه،  
من ذلك: حديث رسول الله ﷺ:

{يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا} (١)  
{بعثت بالحنيفية السمحة} (٢)  
{إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا  
غلبه؛ فسددوا وقاربوا} (٣)  
{خير دينكم يسره} (٤)  
{إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن  
تؤتى معصيته} (١)

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم (باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعة).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، والديلمي في مسند الفردوس،  
والطبراني في الأوسط.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: الدين يسر) حديث  
٢٩.

(٤) رواه الإمام أحمد، والبخاري في الأدب المفرد.

{ما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم} (٢)  
{اياكم والغلو في الدين؛ فإنما هلك من كان  
قبلكم بالغلو في الدين} (٣).

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول:  
{ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ  
أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد  
الناس منه} (٤).

وإذا كان من حق الداعية أن يشدد على نفسه  
ويأخذها بالأحوط دائماً ليربي نفسه على الأفضل،  
فليس من حقه أن يشدد على المدعو والناس الآخرين -  
وبخاصة الذين لا يزالون في أول طريق الهداية ولم  
تتمكن المعاني الروحية في نفوسهم - بل عليه أن  
يتدرج في تربيتهم، ويرتقي بتوجيههم خطوة بعد

---

(١) رواه الإمام احمد، وابن حبان، والبيهقي في الشعب عن  
ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل (باب: توقيره ﷺ) وترك إكثار  
سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به  
تكليف) ٤/١٨٣٠.

(٣) رواه الإمام احمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم بإسناد  
صحيح.

(٤) رواه البخاري في صفة النبي ﷺ وفي الأدب، ومسلم في  
الفضائل (باب مباحثته ﷺ) للإثام واختياره من المباح  
أسهله، وانتقامه لله).

خطوة؛ ذلك أن الأخذ بالتشدد يؤدي الى النفور من هذا الدين. وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ: فقد كان يطيل الصلاة إذا صلى لنفسه، ويخففها إذا أم غيره، وكان يغضب إذا علم من صحابي تطويلاً في صلاته - وبخاصة إذا أدى ذلك الى ترك صلاة الجماعة - فعن ابن مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ فقال:

**{أيها الناس، إنكم منفرون. فمن صلى بالناس فليخفف؛ فإن فيهم المريض والضعيف وذو الحاجة}{(١)}**

ولقد امتثل الصحابة هذه المعاني في التيسير، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ:

((أولئك أصحاب محمد: كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً)) (٢).  
وهكذا كان منهج السلف فمما قاله سفيان الثوري رحمه الله:

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم (باب: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره).  
(٢) إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية ١٧٩/١ بتحقيق محمد سيد كيلاني. الطبعة الأخيرة (١٣٨١-٩٦١) مطبعة البابي الحلبي.

((إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما  
التشديد، فكل إنسان يحسنه))<sup>(١)</sup>.  
وانطلاقاً من هذا الأصل، فإن على الدعاة أن  
ينتهجوا هذا النهج في التيسير. كيف لا والرسول ﷺ  
يقول:

**{إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين}**<sup>(٢)</sup>  
(ولئن كان التيسير مطلوباً في كل زمان، فإنه  
في زماننا ألزم وأكثر طلباً؛ نظراً لما نراه ونلمسه من  
رقة الدين، وضعف اليقين، وغلبة الحياة المادية على  
الناس، وعموم البلوى بكثير من المنكرات، حتى  
أصبحت كأنها القاعدة في الحياة وماعداها هو الشاذ،  
واصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر. وكل  
هذا يقتضي التسهيل والتيسير ولهذا قرر الفقهاء: أن  
المشقة تجلب التيسير، وأن الأمر إذا ضاق اتسع،

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٧٦/٦. الطبعة الأولى ١٤٠٩ -  
١٩٨٨. دار الكتب العلمية/بيروت.  
(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب (باب: قول النبي ﷺ:  
يسروا ولا تعسروا).

وأن عموم البلوى من موجبات التخفيف<sup>(١)</sup>.

### حول تتبع الرخص:

(وإذا كان التيسير في الدين أمراً مطلوباً، فإن تتبع رخص الفقهاء أمر غير مستحب، بل هو باب من أبواب اتباع الهوى: فإن الفقهاء قد اختلفوا في قضايا فقهية كثيرة، ففي المسألة الواحدة وقف بعضهم عند ظاهر النصوص، فلم يجاوزوها فقالوا بتحريمها، ونظر غيرهم نظرة أخرى فقالوا بحلها وهكذا صارت المسألة الواحدة حراماً في مذهب وحلالاً في مذهب آخر وهناك من ينتقل بين المذاهب الإسلامية هنا وهناك: فيأخذ من كل مذهب ما كان أيسر له من غير أن ينظر في قوة دليل ذلك المذهب أو ضعفه: فهو لا يأخذ به إلا ليسره! وقد حذر أهل العلم من تتبع الرخص فقال ابن عبد البر: ((لا اعلم فيه خلافاً بين أهل العلم))<sup>(٢)</sup>.

وهكذا قال ( ابن حزم ) و ( الباجي ) و ( ابن الصلاح ) ... فلا ينبغي للمسلم أن يعتمد على الشاذ من الأقوال والمرجوح منها، فيأخذ بها دائماً لمجرد أنها

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجود والتطرف للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢١٢.  
(٢) الموافقات للشاطبي ١٣٤/٤.

أيسر من غيرها، بل لا بد من عرضها على أصول الإسلام العامة: فيأخذ بما هو الأرجح أو الأصح لما يعايشه الناس؛ إذ تتبع الرخص يؤدي إلى تمييع أحكام الدين والاستهانة بها، والانسلاخ من الإسلام باتباع ما هو الأيسر دائما من غير نظر إلى قوة الدليل أو ضعفه؛ لذلك صرح ابن قيم الجوزية بفسق من يفعل ذلك وحرمة استفتائه. وذكر الشوكاني أن البيهقي حكى عن أبي إسماعيل القاضي قال: ((دخلت على المعتضد، فرفع إلي كتابا قد جُمعت له فيه الرخص من زلل العلماء، وما أحتجَّ به كل منهم فقلت: مصنف هذا الكتاب زنديق ... وما من عالم إلا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم اخذ بها ذهب دينه فأمر بإحراق الكتاب))<sup>(١)</sup>.

### ٣- التدرج في تبليغ الدعوة: مقدمة:

من المناهج التي ينبغي على الداعية أن يضعها نصب عينيه: التدرج في تبليغ الدعوة، فلا يلقي إلى المدعو بالأوامر والنواهي جملة واحدة؛ وذلك لتقبل

---

(١) منهج الدعوة إلى الله لكاتب هذه السطور ص ٧-٨ الطبعة الأولى ١٩٩٧م، مطبعة دار الكتب/الموصل. وانظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٧٢.



نفسه ما يلقى إليه؛ فلا يجد حرجاً في الأخذ بها وتطبيقها بعد ذلك. وأسوتنا في ذلك القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وسيرته، فان بعض أحكام القرآن نزلت متدرجة؛ لئلا يصعب على الناس الأخذ بها جملة واحدة؛ ذلك أن العرب حين بعثة النبي ﷺ كانوا في إباحة من أمرهم: فلو نزلت الأحكام جملة واحدة لشق عليهم ذلك، ولنفرت نفوسهم من قبولها كما كان الأمر في الأمم الماضية التي أعرضت عن الاستجابة لما جاء به الأنبياء السابقون. يقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله -:

((ومن هذا أنهم أمروا بالصلاة أولاً ركعتين ركعتين، فلما ألفوها زيد فيها ركعتين أخريين في الحضر ومن هذا أنهم أمروا أولاً بالصيام وخيروا فيه بين الصوم عيناً، وبين التخيير بينه وبين الفدية فلما ألفوه أمروا بالصوم عيناً ومن هذا أنهم أذن لهم بالجهاد أولاً من غير أن يوجبه عليهم، فلما توطنت عليه نفوسهم، وباشروا حسن عاقبته وثمرته أمروا به فرضاً))<sup>(١)</sup>.

وما أروع ما روته السيدة عائشة - (رضي الله عنها) - فقالت:

---

(١) بدائع الفوائد لابن الجوزية ٣ / ١٨٤ مصورة عن إدارة الطباعة المنيرية.

((إنما نزل أول ما نزل من سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس الى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنا لقالوا لا ندع الزنا أبداً...))<sup>(١)</sup>.

### مراتب التدرج في تبليغ الدعوة:

نزل القرآن الحكيم موجهاً نبيه محمداً ﷺ أن يكون تبليغه للدعوة في خطوات. فلم يكلف الله نبيه ﷺ في أول نزول الوحي أن يبلغ الناس كلهم ما يلقي عليه، بل كان ذلك في مراحل، أولها: البدء بالأقربين، وآخرها بتبليغ الناس كافة يقول العلامة ابن قيم الجوزية:

فصل في ترتيب الدعوة ولها مراتب: **المرتبة الأولى: النبوة. الثانية: إنذار عشيرته الأقربين. الثالثة: إنذار قومه. الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة. الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والأنس الى آخر الدهر**<sup>(٢)</sup>.

### التدرج في مقدار البلاغ:

---

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب فضائل القرآن (باب: تأليف القرآن) رقم ٤٩٩٣.  
(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ١ / ٢٠ دار الكتب العلمية . بيروت

حقائق الدين كثيرة، وأحكامه متعددة. والداعية الحكيم يتدرج بتبليغ الناس بقدر ما يحتاجون إليه أول الأمر، مراعيًا حال المدعو: هل هو حديث عهد بالإسلام؟ وهل يستطيع أن يتحمل ما يلقي إليه من البلاغ كله أو بعضه ..؟! الخ ذلك أن من أقبل على هذا الدين حديثًا لابد أن يجرأ له البلاغ: فيبلغه الداعية بما يكون به الإنسان مسلمًا أول الأمر، ثم الأهم فالمهم، والأيسر فاليسير من أحكام الشريعة. أما الذي ابتعد عن الدين سنوات وسنوات، فلا يستطيع أن يتحمل التكاليف كلها جملةً واحدةً، فلا بد من التدرج معه أيضًا. ونجد الرسول الكريم ﷺ قد اتبع التدرج في مقدار البلاغ، وذلك بوصيته لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن، فقد حدد له بأي شيء يبدأ، وكيف يبلغ؟ فأوصاه بقوله:

((إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فان هم أطاعوا لك، فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في كل يوم وليلة. فان هم أطاعوا بذلك، فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فان هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة

المظلوم؛ فانه ليس بينها وبين الله حجاب))<sup>(١)</sup>.  
ويوضح هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية  
فيقول:

((.... فكذاك المجدد لدينه، والمحيي لسنته، لا  
يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، كما أن الداخل في  
الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلحق جميع شرائعه،  
ويؤمر بها كلها ... وكذلك التائب من الذنوب،  
والمتعلم، والمسترشد، لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر  
بجميع الدين، ويذكر له جميع العلم؛ فانه لا يطيق ذلك،  
وإذا لم يطقه لم يكن واجبا عليه في هذه الحال، وإذا لم  
يكن واجباً لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه  
ابتداءً، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه  
وعمله الى وقت الإمكان ... ))<sup>(٢)</sup>.

### حكمة التدرج في التبليغ:

من الطبائع التي جبلت عليها النفوس البشرية:  
عدم قبولها التكاليف جملة واحدة فهي لا تقبل عن  
مألوفاتها وما اعتادت عليه دفعة واحدة، وإنما يروض  
الإنسان على قبول التكاليف، ويتدرج به شيئاً فشيئاً،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة (باب: أخذ الصدقة من  
الأغنياء)، ومسلم في كتاب الإيمان (باب: الدعاء الى  
الشهادتين وشرائع الإسلام).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٠/٢٠.

حتى يتقبل التكاليف عن قناعة ويذعن لتطبيقها، من غير أن يكون في صدره ضيق أو حرج منها؛ لذلك كان التدرج في التبليغ والتطبيق أمراً ضرورياً فلا يستطيع الداعية أن يحكم شرع الله في الناس بين عشية وضحاها؛ ذلك أن عوامل الهدم في هذا الدين ظلت تعمل مئات السنوات؛ فلا بد أن يروضهم على قبولها أولاً، ثم يأمرهم بها بعد ذلك فهذا عبد الملك بن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يأتي أباه طالباً منه أن يقف موقفاً حدياً من أية مخالفة كانت للشريعة الإسلامية؛ فيقول لو والده بعد أن تسلم الخلافة: (ما يمنعك أن تمضي لما تريده من العدل؟ فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدر في ذلك) يريد الشاب التقى الغيور من والده أن يرد المظالم، ويقضي على الفساد وآثاره دفعة واحدة، وليكن بعد ذلك ما يكون. فيرد عليه الأب الفقيه قائلاً :

((يا بني، إنما أروض الناس رياضة الصعب إنني أريد أن أحيي الأمر من العدل؛ فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه. يا بني، لا تعجل؛ فان الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإنني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة، فيكون

من ذا فتنة))<sup>(١)</sup>.

وهكذا الخليفة الراشد يعالج انحرافات دولته بالترج: فهو يريد أن يسقيهم طريق الرشد جرعة جرعة، ويسير بهم في الطريق الصحيح خطوة خطوة. ثم انظر الى هذا الابن الذي يتوقد حماسةً وغيره على هذا الدين، يدخل على والده غاضباً فيقول: ((يا أمير المؤمنين، ما أنت قائلٌ لربك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة فلم تحيها؟!)). فقال أبوه:

((رحمك الله وجزاك من ولد خيراً! يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقاً في الدعاء والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يراق في سببي محجمة من دم! أو ما ترضى أن لا يأتي علي أبوك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة، ويحيي فيه سنة))<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الموافقات للشاطبي ٩٤/٢.

(٢) تاريخ الخفاء للسيوطي ص ٢٤٠، الطبعة الثالثة ١٣٨٣-١٩٦٤ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة المدني، القاهرة.

إن الطريقة التي اتبعها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:  
في إمامة كل يوم بدعة وإحياء كل يوم سنة، هي  
الطريقة المثلى التي تجعل الداعية ينجح في دعوته.  
ونستطيع أن نجد حكماً للتدرج في التشريع  
والتبليغ، منها:

أ- أن التدرج من أسباب قبول الدعوة فإن الله - عز  
وجل - لما أنزل القرآن لم ينزله جملة واحدة، بل  
أنزله في ثلاث وعشرين سنة على وجه التقريب.  
فلو أنزله جملة واحدة وطالب الناس بكل ما فيه  
من أحكام، لشق ذلك عليهم، ولما استجاب  
استجابة صحيحة إلا النادر الأندر، ولكنه -  
سبحانه- راعى فطر الناس فخاطبهم بما يوافقها،  
وبما ييسر ويسهل على المدعوين الدعوة بعد ذلك.  
وهكذا أصبح التدرج علاجاً ناجعاً لإصلاح  
النفوس، وتقبل التكليف، من غير حرج ولا ضجر  
ولا عنت.

ب- التدرج مع المدعو يؤدي إلى تربيته تربية قوية؛  
ليتمكن من حمل الدعوة وتبليغها بعد ذلك. وهكذا  
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابته الكرام. وقد أدى  
ذلك الإعداد وتلك التربية الهادفة إلى تكوين جيل  
فريد، استطاع في نصف قرن من الزمن أن يفتح  
نصف الكرة الأرضية ولو لم يكن ذلك الإعداد  
والاستعداد والتدرج، لما استطاع المسلمون أن

يحققوا ذلك أو شيئاً منه. يقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله -:

((إن حكمة هذا التدريج: التربية على قبول الأحكام والإذعان لها والانقياد لها شيئاً فشيئاً))<sup>(١)</sup>.  
ج- لقد جبلت نفوس الكثرة الكاثرة من الناس على عدم تحمل التكاليف الكثيرة جملة واحدة؛ فان نفوسهم لا تطيقها فإذا حصل ذلك، كان النفور والإدبار عن الدعوة. يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: {وَفُرْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} (٢) قال: {ونزلناه تنزيلاً} .. أي أنزلناه نجماً بعد نجم ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- الترغيب والترهيب:

كثيراً ما يتخذ الداعية في دعوته أسلوباً الترغيب والترهيب ونجد في القرآن الكريم والسنة النبوية من ذلك الكثير، قال الله تعالى:  
{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} سورة البقرة/٢١٣.

(١) بدائع الفوائد ٣/١٨٤.

(٢) سورة الإسراء آية ١٠٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/٣٤٠. مصورة عن طبعة دار الكتب الطبعة الثالثة، ١٣٨٧-١٩٦٧. القاهرة.



وقال **جَلَّالَهُ**:

**{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}** سورة

الأحزاب/٤٥.

ولكن بأيهما يبدأ الداعية؟

إن الداعية إنسان حكيم يدرك أن طبائع الناس مختلفة: فقد ينفع الترغيب مع إنسان ولا ينفع مع إنسان آخر. وقد تنفع وسيلة التهيب مع شخص ولا تنفع مع شخص آخر. لكن منهج الداعية أن يبدأ منهجه بالترغيب قبل التهيب بصورة عامة. ونقرأ القرآن الكريم، فنجد هذه السمة واضحة كل الوضوح، قال الله تعالى:

**{يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}** سورة الأحزاب/٤٥-٤٧.

ولقد أنزل الله القرآن بشرى للمسلمين، قال

تعالى:

**{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** سورة النحل/١٠٢.

وقال تعالى:

**{فَاتِمَا يَسِّرْنَا لَهُ بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ**

**بِهِ قَوْمًا لُدًّا}** سورة مريم/٩٧.

ونجد النبي ﷺ في كثير من أحاديثه يبشر الناس فيقول في ترغيبه بالصلاة :

{أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا}{(١)}.

إن هذا الأسلوب من أساليب الترغيب يحث المسلم على كثرة الطاعات، والمسارة الى الخيرات، بل قد يبذل نفسه في الموت؛ حباً في أن ينال تلك المنزلة التي يرغب فيها. أما أسلوب الترهيب في غير موضعه، فلا يؤثر في نفس المدعو، بل يظل خائفاً يترقب، ولا يدفعه خوفه هذا - في كثير من الأحيان- الى التقدم في مجال الطاعة والاستجابة لله والرسول.

وحين ننظر في أسلوب الترهيب والتغيب نجد أسلوب الترهيب في الدعوة قد شاع في عصور التخلف والانحطاط وانهزامية الدعوة أما أسلوب الترهيب، فقد شاع -غالباً- في عصر الصحوة والنهضة: فيكون أسلوب الترهيب هو الأصل في الدعوة الى الله؛ لأنه الأنفع للنفس الإنسانية؛ لذلك بدأ به

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب: الصلوات الخمس كفارة)، ومسلم في كتاب المساجد (باب: المشي الى الصلاة تمحي بها الخطايا وترفع الدرجات).

رسول الله ﷺ في دعوته، فكان يخاطب الكفار  
والمشركين والناس كلهم بقوله: **{يا أيها الناس، قولوا  
لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم  
بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكا في  
الجنة}**(١).

إنها دعوة واضحة للتبشير فلم يجابه الرسول  
الكريم الكفار والمشركين بما كانوا عليه من كفر  
وشرك، ولم يقل لهم: إن مصيركم الى النار، بل كان  
ييشر به الناس ليقبلوا على هذا الدين. ولم يكتف  
الرسول الكريم بذلك، بل كان إذا أرسل الدعوة الى  
الأمصار أوصاهم بالتبشير: فقد أوصى أبا موسى  
الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺ حين بعثهما الى اليمن  
بقوله:

**{يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا  
وتطوعا}**(٢).

ولقد كان حديث رسول الله ﷺ لكل داعية من  
دعاة الإسلام حين قال: **{يسروا ولا تعسروا، وسكنوا  
ولا تنفروا}**(١).

---

(١) أسس الدعوة وآداب الدعوة للدكتور محمد السيد الوكيل ص  
١٨، مطابع أخبار اليوم القاهرة .  
(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب (باب: قول النبي ﷺ يسروا  
ولا تعسروا).

ومن منهج الداعية: أنه إن أنس من مسلم خيراً  
شجعه عليه، وإذا ارتكب معصيةً لا يقنطه من رحمة  
الله.

ومع ذلك، فنحن لا نريد أن نهون من مكانة  
الترهيب؛ إذ المدعو قد تنفع معه هذه الوسيلة ولا تنفع  
معه وسيلة الترغيب والداعية إنسان حكيم يضع كل  
شئ في مكانه المناسب.

### ٥- متابعة المدعو:

يقوم الداعية بمتابعة المدعو - بعد أن يشرح الله  
صدره للدعوة - وذلك بتربيته وتعليمه، ثم بإزالة  
الشبهات والشوائب التي علقّت بذهنه أو استقرت في  
قلبه عن هذا الدين وهذه المتابعة ضرورية جداً؛ ذلك  
أن المدعو إن لم يتابع يرجع إلى ضلاله وعند ذاك  
يكون الداعية قد أخفق في دعوته لتقصيره هو. وحتى  
لو لم يرجع إلى ضلاله فستعلق بفكره وتربيته شوائب  
تؤثر في فكره وسلوكه المستقبلي. وهكذا كان يفعل  
رسول الله ﷺ بمن يدخل حديثاً في دين الله. فلما أسلم  
(عمير بن وهب) قال الرسول الكريم لأصحابه:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب (باب: قول النبي ﷺ:  
يسروا ولا تعسروا).

## {فقهوا أحكام في دينه وأقرنوه القرآن} (١).

ولأهمية تربية وتعليم من يدخل في الإسلام ومتابعته: أرسل الرسول ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة؛ ليقوم بتربية وتعليم من يهديه الله لهذا الدين.

ويدل على أهمية متابعة المدعو: ما رواه الإمام مسلم أن إبا رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه دخل مسجد النبي ﷺ والرسول الكريم يخطب قال أبو رفاعة: فقلت يا رسول الله، رجل جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال: فاقبل عليّ رسول ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتى آخرها (٢).

وهكذا نجد النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه يتابع المدعو حتى في الأوقات الحرجة، فينزل عن منبره، ويقطع خطبته، ويُقبل على رفاعة فيعلمه مما علمه الله، ثم يعود فيتم خطبته!

إن هذا منهاج للداعية ينبغي أن يتخذه في دعوته؛ إذ العاطفة -وحدها- لا تكفي لو لم يكن معها علم صحيح يأخذ بيده في دروب الإعداد؛ ليصير

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٨/٢ بتحقيق السقا والأبياري وشلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥-١٩٣٦.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة (باب: حديث التعليم في الخطبة).

المدعو داعية بعد ذلك.

ولا يكتفي الداعية بتعليم المدعو وتربيته نظرياً، بل عليه أن يتابعه في تطبيق ما يتعلمه على نفسه ومن يعول. وهكذا يتعلم العلم والعمل معاً قال أبو عبد الرحمن السلمي:

((حدثنا الذين كانوا يقرئونا (القرآن): أنهم كانوا يستقروئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلقوها (يتركوها) حتى يعملوا بما فيها من العمل؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً))<sup>(١)</sup>.

ومن نهج الداعية أن يكون رقيقاً رحيماً في متابعته للمدعو، فيظل صابراً على أخطائه، مقوماً لزلزلاته، ساتراً لعيوبه غير مشهر بها .. حتى لو وقعت منه أخطاء وأخطاء، فانه يقومها بأسلوبه الحكيم بمتابعته له ..

ولا يظنُّ أحد أن أي إنسان كان معصوم عن الزلات والأخطاء اللهم إلا الأنبياء فيما يبلغونه عن الله عز وجل .. حتى صحابة رسول الله ﷺ لم يسلموا من الوقوع بأخطاء وزلات. فهذا الصحابي الجليل (حاطب بن أبي بلتعة) وهو من هو في الفضل والمكانة في الصحابة، ويكفيه فضلاً انه اشترك في غزوة بدر،

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

يقوم هذا الصحابي بإرسال كتاب إلى قريش، يخبرها بما عزم عليه المسلمون في غزوها وحملت الكتاب امرأة مسافرة إلى مكة، ويأتي الوحي يخبر النبي ﷺ بذلك.

فأرسل النبي ﷺ علياً والزبير والمقداد ﷺ فامسكوا بها في (روضة خاخ) - على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة- فأنكرت المرأة، فهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب؛ فأخرجته وسلمته لهم. ويستدعي النبي الكريم حاطباً ويسأله: ما هذا يا حاطب؟ فيجيبه يا رسول الله، لا تعجل علي؛ إني كنت امرأةً ملصقاً بقريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم؛ فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام؛ فقال رسول الله ﷺ: إنه صدقكم .. (١).

---

(١) انظر الرواية كاملة في صحيح البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة رقم ٤٢٧٤، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة) ٢٤٩٤.

فإذا كان هذا الصحابي ممن شهد بدرًا وجاهد في الله حق جهاده قد أصيبت نفسه بحالة من حالات الضعف، فكيف بغيره من الناس؟! إنه أسلوب تربوي فريد - ما أحوج الداعية أن يتخذه منها ليه في دعوته- فلا يتملكه الغضب وتحمر أوداجه لمخالفة خالفها المدعو .. بل عليه أن يتحلى بالصبر على ما يلاقه منه ويكون رحيماً به، رقيقاً بحاله، أخذاً بيده في الطريق الذي يعده إعداداً صحيحاً ليكون داعية يقوم بالمهمة نفسها التي قام بها أنبياء الله ورسوله.

## ٦- التخطيط :

لا يقوم الداعية على تنفيذ عمل من الأعمال أو موقف من المواقف إلا بعد أن يخطط لذلك العمل تخطيطاً دقيقاً: فيدرسه دراسة جادة من جوانبه كلها؛ ذلك أن الارتجال في الأعمال والمواقف يؤدي إلى الإخفاق في الغالب فلا يترك الداعية الأمور تجري في اعتنتها كيفما اتفق، بل لابد له أن ينتفع بتجارب الأمم، وأن يعرف ما لديه من إمكانيات مادية ومعنوية، ومصادر القوة والضعف فينا وفي خصومنا ولا يعرف ذلك إلا بالدراسة الدقيقة البعيدة عن العواطف. وأسوة الداعية في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان يخطط لكل عمل من أعماله، والسيرة النبوية غنية بالأمثلة. ففي هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة، جعل علي بن أبي



طالب ﷺ ينام على فراشه ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر للتمويه والتعمية على المشركين الذين اجتمعوا أمام باب داره يريدون قتله. ولَمَّا أتى أبا بكر يريد الهجرة أتاه مقنعاً خشية أن يراه أحد فيعرفه، وأتاه بالهجرة؛ إذ كان الناس في قيلولة وقلما يخرج أحد خارج بيته في مكة من شدة الحر وفي الهجرة لم يخرج مع أبي بكر من الباب الرئيس، بل خرج من فتحة في ظهر البيت؛ لأن بيت أبي بكر قد يكون مراقباً. وقد بدأ هجرته من غير الطريق الاعتيادي، فاتجه في هجرته نحو الجنوب -وهو طريق معاكس لطريق المدينة- ليفوت الفرصة على المشركين الذين سيبحثون عنه ولا يجدونه، وهكذا خرج إلى غار ثور مع أبي بكر.

ومن ذلك التخطيط: أن أبا بكر أمر ولده عبد الله أن يتسمع ما يقوله الناس فيهما في النهار، ثم يأتيهما بالخبر إذا أمسى. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمست، وكذلك الإفادة من خبرة المشركين: فقد استأجر عبد الله بن أريقط -وكان مشركاً- ليدلها على الطريق ... الخ.

إنه تخطيط دقيق قام به النبي الكريم في هجرته. واقتداءً به صلوات الله وسلامه عليه في سيرته كلها، فان على الداعية أن يجعل التخطيط الدقيق من منهجه في كل عمل من أعماله وموقف من

مواقفه. وليس صواباً أن يتعلل بعض الدعاة بالقدر على تقصيرهم وهم المقصرون في عدم التخطيط.

## ٧- الإفادة من خبرات الآخرين:

الإفادة من خبرات الآخرين أمر مهم لا بد أن يضعه الداعية نصب عينيه دائماً وأبداً، وأن يكون ذلك من منهجه في دعوة الناس الى الإسلام، ويكون ذلك بمخالطة الناس ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وأوضاعهم ومشكلاتهم، ويكون -أيضاً- بدراسة الأفكار والأنظمة الأخرى، ودراسة حياة الناس الذين أثروا بمجتمعاتهم.

إن معرفة ذلك يكسب الداعية خبرة، فيكون سبباً من أسباب نجاحه في دعوته، وابتعاده عن الوقوع بالخطأ الذي وقع به غيره. ولا تقتصر الإفادة من خبرات الناس الآخرين على من سبقه من الدعاة الى الله، بل تشمل - أيضاً - الاستفادة من تجارب الأفكار الأرضية والنظم الوضعية، على أن لا يصطدم ذلك بأي حكم من أحكام الإسلام؛ فان المسلم يسير وفق قواعد الشريعة الإسلامية، ولا يجوز له أن يخالف حكماً من أحكامها.

إن الاستفادة الداعية بتجربة من سبقه من عوامل نجاحه؛ إذ تجله يتجنب تلك الأخطاء التي وقع بها من سبقه. وبهذا يختصر كثيراً من الطريق، ويتخلص من

كثير من المتاعب التي يلاقيها في دعوته لو لم يستفد  
من تجارب من سبقه ومن عاصره، وقد قال الشاعر:

علمتني الحزم لكن بعد مؤلمة

إن المصائب أثمان التجاريب

ونستطيع أن نقول: إن أعداء الإسلام في كيدهم  
لهذا الدين، كان من عوامل نجاحهم: استفادتهم من  
تجارب من سبقهم في الكيد والتأمر. أفلا يجدر بالمسلم  
أن ينتفع من تجارب الناس الآخرين، وبخاصة تجارب  
إخوته في الدعوة الى الله؟!!

#### ٨- التعميم في التوجيه والنقد غير المباشر:

من منهج الداعية تعميمه في توجيهه ونقده. فإذا  
صدر خطأ من واحد من الناس لا يذكره بأسمه، بل  
يعمم في توجيهه مادام في ذلك الحديث الكفاية فهذا  
رسول الله ﷺ يجد بعضاً من الناس قد تخلفوا عن  
الصلاة في المسجد فيقول:

{والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطب  
فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً يوم  
الناس، ثم أخالف الى رجال [يتخلفون عنها]  
فأحرق عليهم بيوتهم}{(١)}.

---

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب الأذان (باب: وجوب  
الصلاة جماعة) ١٢٥/٢، ومسلم في كتاب المساجد  
ومواضع الصلاة (باب: فضل صلاة الجماعة) ٤٥١/١.

وهذا الأسلوب في التوجيه والنقد غير المباشر فيه ما فيه من الفوائد، ومنها:

أ. أن النقد المباشر قد يكون ثقیلاً على بعض النفوس؛ فيصاب من توجه له النصيحة المباشرة بالخلج.

ب. إن هذا التوجيه يجعل المسلم المخطيء محتفظاً بشخصيته عند أصحابه، فلا يقل شأنه بينهم.

ج. يؤدي هذا الأسلوب في التوجيه إلى تصحيح خطأ المخطيء، وتصحيح أخطاء قد تكون في ناس آخرين، ومنع من تسول لهم أنفسهم أن يقعوا بما وقع بهم غيرهم.

د. يؤدي هذا التوجيه إلى زيادة المحبة بين الموجه ومن توجه له النصيحة. إنه منهج رائع كل الروعة ما أشد حاجة الدعاة إلى الأخذ به والسير على وفقه!

## ٩- القصد والاعتدال:

يتخذ الداعية الوسط في أمور حياته: فهو يبتعد عن الغلو والتنطع، مقتدياً بحديث رسول الله ﷺ:

{إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم بالغلو في الدين} (١).

وقال:

{ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً؛ فإن الدنيا بلاغ الآخرة، ولا تكونوا كلاً على الناس} (٢).

ولما جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادته صلوات الله وسلامه عليه؛ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال:

{أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء: فمن رغب عن سنتي فليس

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢١٥/١، والنسائي في التقاط الحصى ٢٦٨/٥.

(٢) رواه ابن عساکر. وقال السيوطي: صحيح الإسناد.

مني} (١).

فما على الداعية إلا أن يقتدي برسول الله ﷺ في توجيهه، فيترك التشدد والغلو، ويستمر في عبادته التي يستطيع أن يداوم عليها؛ ذلك أن التشدد والغلو قصير العمر، وقد قال النبي ﷺ:

**{أيها الناس، عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل ...}** (٢).

وهكذا يكون اعتدال الداعية في أموره كلها من أسباب نجاحه في دعوته؛ إذ يستطيع أن يجمع الناس كلهم تحت لواء دعوته المباركة.

## ١٠ - القول والعمل:

لا يستطيع الداعية أن يؤثر بالناس تأثيراً قوياً إلا إذا كان عاملاً بكل ما يقوله؛ فإن أثر الأعمال أقوى من أثر الأقوال. ويحدثنا القرآن الكريم عما قاله شعيب عليه السلام لقومه:- **{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ...}** {سورة هود/٨٨}.

أما الرسول ﷺ، فيحدثنا عن مصير مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَأْتِيهِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَأْتِيهِ

---

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب النكاح (باب: الترغيب في النكاح) ١٠٤/٩.

(٢) رواه مسلم بشرح النووي ٧١/٦-٧٢.

فيقول:-

{يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه. فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية} (١).

والداعية الناجح في دعوته لا يكتفي بأخذ اليسير مما يأمر به وينهى عنه، بل يكون أكثر الناس أخذاً بذلك. يقول الحسن البصري (رحمه الله):

((إذا كنت أمراً بالمعروف فكن من أخذ الناس به وإلا هلكت، وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر، فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت)) (٢).

أما سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان قبل أن يبدأ بأمر الناس أو نهيهم يجمع أهل بيته فيقول لهم: ((أما بعد، فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا، وأنهاهم عن كذا وكذا. وإني أقسم بالله العظيم لا يبلغني عن أحد منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه، أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب الخلق (باب: ما جاء في صفة النار) رقم ٣٢٧٦.

(٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ص ٥٠.

ترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكلاً شديداً))<sup>(١)</sup>.  
(إن الناس إذا وجدوا مخالفةً بين قول الداعية وعمله لم يلقوا له عند ذلك أذناً صاغية، وإذا سمع الناس قوله لا يصدقونه، وإذا صدقوه، فلا يؤثر بهم؛ لأنهم يقولون: لو كان هذا صادقاً فيما يقول لرأينا أثره فيه)<sup>(٢)</sup>.

وهذا منهج مهم من مناهج الداعية. إنه يدعو بعمله قبل قوله: فيكون تقياً قبل أن يدعو إلى التقوى. وقد وجه القرآن الحكيم لومه وتقرّيعه إلى بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا ينسون أنفسهم حين يأمرون بالبر، فقال تعالى:-

**{اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** سورة البقرة/ ٤٤.

وقد أطلق ابن قيم الجوزية على الذين تخالف أقوالهم أفعالهم (قطاع الطرق) فقال:  
(علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم. فكما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين

---

(١) كيف يدعو الداعية، للشيخ عبد الله علوان ص ٨٣.  
(٢) من صفات الداعية، لكاتب هذه السطور ص ٤٩. مطبعة دار الكتب / الموصل ١٩٩٧.



له: فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق))<sup>(١)</sup>.

إذن لا بد أن يكون من منهج الداعية العمل بما يقول؛ لتدخل دعوته في سويداء القلوب.

## ١١ - مداراة الناس:

من منهج الداعية: التلطف بالناس، وخفض الجناح لهم، والبشر عند لقائهم، وترك الأمر الذي لا ضرر في تركه خشية الفتنة، وأسوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي تفادى الصدام مع مشركي المدينة طمعاً بإسلامهم، ومراعاة لمن آمن من أهلهم كما اهتم بيهود المدينة وتلطف بهم أملاً بإسلامهم لكن تلك الجهود لم تجد نفعاً، بل قلبوا للمسلمين ظهر المجن، وناصرهم العدا، وألبوا المشركين على الدولة الإسلامية الفتنية، وأرادوا أكثر من ذلك قتل رسول الله ﷺ مرات عديدة ... عند ذاك ترك النبي الكريم ﷺ مداراتهم.

أما المنافقون، فقد تجاوز نبي الله عما كانوا يبيتونه لدولة الإسلام من شر وفساد، وتجاوز عن زلاتهم؛ لعلمهم بتركون النفاق، وينضوون تحت لواء هذا الدين، ومن أجل اتقاء شرهم أيضاً.

---

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية. ص ٦١، الطبعة الثانية ١٣٩٣ - ١٩٧٣، دار الكتب.

أما المسلمون، فمع حبهم الشديد للرسول ﷺ، فقد كان يعمل ﷺ على مداراتهم؛ ليتمكن الإيمان من قلوبهم. وكمثال على ذلك ما قاله الرسول الكريم ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها:

{يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهدم؛ فأدخلت فيه ما أخرج منه، وأزقته بالأرض، وجعلت له بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم} (١).

إن الذي منع النبي ﷺ من هدم البيت وبنائه على قواعد إبراهيم: أن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية فخشي النبي الكريم أن تنكر قلوب بعضهم لهذا العمل، فيكون ذلك سبباً لفتنتهم؛ فترك ما أراد عمله. وهكذا يستطيع الداعية بمداراته الناس، وصفحه عن المسيء منهم، وتلطفه بهم أن يكسب ودهم ويكسبهم الى دعوته، أو أن يخفف من عداوة بعضهم له ولدعوته وفي ذلك الخير الكثير.

---

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب الحج (باب: فضل مكة وبنائها) ٤٣٩/٣، ومسلم في كتاب الحج (باب: نقض الكعبة وبنائها) ٩٦٩/٢.

## ١٢ - خاتمة:

الداعية المسلم له منهاج دقيق يضعه لنفسه بعد تأمل طويل، يسير على وفقه خطوة خطوة، بعد أن يستفيد من منهاج من تقدمه من الدعاة. ومنهاج الذي ارتضاه ولا يحيد عنه ولا يرتضي به بديلاً نابع من الإسلام: بعقيدته وشريعته وأخلاقه: فهو يؤمن إيماناً لا تخالطه أية شائبة كانت من الشوائب أن الإسلام منهاج حياة كامل، وان العالم - كل العالم - في أمس الحاجة إليه لينقذه من ذلك التيه والضلال .. وهذا الإيمان العميق بهذا الدين، يعتبر نقطة الانطلاق للدعوة إلى الإسلام فلا بد للداعية أن يعرض دعوته عرضاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض أمام الناس، متخذاً الأساليب الصحيحة لعرضه؛ لتظهر معالم هذا الدين واضحة بكل ما تحتجته من فكر نير ونظام دقيق، وهو أمر لا يستغنى عنه إذا أردنا أن يعود الإسلام متمكناً في قلوب أتباعه أولاً، وأن ندعو غير المسلمين إليه بعد ذلك.

على أن الداعية - فوق ذلك - ينبغي أن يكون مرناً في حركته، سريعاً في اتخاذ القرار، قادراً على المناورة وفق ضوابط الشريعة، وأن يكون واثقاً بنفسه، غيوراً على دعوته متحمساً لها، واثقاً بنصر الله، ملتجئاً إليه في كل صغيرة وكبيرة، وأن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله، رحيماً بمن يدعوهم، صابراً على ما

يلاقيه من زلاتهم، زاهداً بما في أيدي الناس، وأن يكون - قبل ذلك وبعده - مخلصاً لله في دعوته، مطهراً قلبه من شوائب الرياء وحب الظهور.

**والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على هادي  
البشرية ومنقذ الإنسانية محمد ﷺ!**

## المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٧	منهج الدعوة
٧	بين يدي البحث
٩	١- الحكمة
١٣	٢- التيسير لا التعسير
١٩	٣- التدرج في تبليغ الدعوة
٢٧	٤- الترغيب لا الترهيب
٣١	٥- متابعة المدعو
٣٥	٦- التخطيط
٣٧	٧- الإفادة من خبرات الآخرين
٣٨	٨- التعميم في التوجيه والنقد غير المباشر
٣٩	٩- القصد والاعتدال
٤١	١٠- القول والعمل
٤٤	١١- مداراة الناس
٤٦	١٢- خاتمة